



حياة التكريس البتولي

لخدمة الكلمة

الدكتور نصحي عبد الشهيد

رائدًا ونموذجًا

في يوم ٨ يوليو ٢٠٢٢، رحل عن عالمنا الفاني إلى سماء المجد الأب الفاضل والعلامة الكبير الدكتور نصحي عبد الشهيد رائد التكريس البتولي، بعد حياة حافلة بالعبء والخدمة والتعليم والترجمة وإثراء الكنيسة بأهمات كتب آبائنا العظام الأوائل الذين كنا لا نعرف عنهم شيئًا.

وفي الحقيقة، كان هذا الراحل علامة ورمزًا لا يُمحى في سماء كنيستنا القبطية. لم يحمل درجة كهنوتية، لم يكن عضوًا في مجالس مليّة أو في مركز كنسي، بل كان شخصًا علمانيًا بسيطًا، عاش حياة بسيطة مُكرّسة مقدّسة مُخصّصة بتمامها للرب.

إن البعض يُقيّمون القديس بأنه الشخص الذي أكمل أمانته للمسيح، سواء بشهادة الدم أو بذهابه للرهبنة في دير؛ ولكن تاريخ الكنيسة يدعونا إلى أن نوسّع تقييمنا هذا. فلم تكن القداسة وقفًا على هذين المجالين، أو على أصحاب الرتب الكنسية فقط، ولكن كثيرين مثل سمعان الخراز وغيره صاروا قديسين وهم يعملون في أي مجال دنيوي بسيط، يشهدون للمسيح وسط العالم، تفوح منهم رائحة المسيح الذكيّة. ثم ماذا يكون التقييم إذا كان الشخص قد تفرّغ بالكلية لخدمة سيده المسيح، كالدكتور نصحي؟! ونقول بكل أمانة وصدق إن الحياة المُكرّسة لخدمة الإنجيل هي مُكرّمة جدًّا عند الرب: «لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ ... لِأَجْلِ وَلاَ لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ، إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِثَّةً ضِعْفٍ ... وَفِي الدَّهْرِ الْآتِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ» (مر ١٠: ٢٩ - ٣٠).

كان دكتور نصحي صاحب رسالة، وعاش بها واستمر ثابتًا فيها دون أن يتخلّى عنها طيلة حياته مهما واجهته المصاعب. سلك طريقًا جديدًا لم يُطرق أو يُختبر من قبل. تمامًا مثل القديس أنطونيوس الذي شقّ وحده منفردًا في الصحراء الميته، فصار

الطريق مُهَيَّأً لكل الرهبان الذين أتوا بعده، حتى أننا نرى الآن ألوفاً من كل أُمَّة قد اقتفوا آثاره وساروا على نهجه ويفتخرون بأنهم أولاده وتلاميذه.

لم يكن قرار دكتور نصحي بالتكريس فكرةً طارئةً أو اندفاعاً طائشاً، بل كان قلباً مشتتلاً بحب المسيح منذ بكور حياته، مع رغبة في خدمة كنيسته دون أن تشغله عن هذا أية ارتباطات أُسْرِيَّة أو تطلُّعات دنيوية أو أهداف أرضية من أي نوع. ونما هذا الشوق في قلبه قليلاً قليلاً إلى أن وصلنا لمنتصف الخمسينيات، حيث تلاقى مشاعره مع إخوة خدام مثله، يُشاركونه أشواقه كان أهمهم: يسري لبيب (الراهب باسيلوس المقاري). وهداهم روح الله أن يستشيروا الأب متى المسكين وتقابلوا معه وتحادثوا في شأن التكريس مع البتولية. وفي الحقيقة كان أبونا متى صريحاً ومُتجاوباً معهم، فهو يؤمن بأن الرهبنة والخدمة هما طريقتان مختلفتان ولا يجتمعان، وأنه يجب على الشخص أن يعرف طريقه منذ البداية جيداً، ويستكمل الأب متى حديثه ويقول: [إن بعض الذين قام برهبنتهم، كان الطريق المناسب لهم هو الخدمة وليس الرهبنة، لذلك حدثت بعض الصعوبات في حياتهم الرهبانية نتيجة ذلك]^(١). لهذا أتى اقتراح الأب متى بضرورة إنشاء بيت للمتبتلين المُكْرَسِينَ للخدمة.

وفعلاً تم استئجار شقة في حدائق القبة في نوفمبر ١٩٥٨، وتوجَّهوا لدير الأنبا صموئيل للقاء الأب متى وعرضوا عليه ما فعلوه، ورجوه أن يأتي معهم ليُرْتَب حياتهم وتكريسهم، وفعلاً نزل معهم. ومنذ ذلك اليوم بدأت حركة روحية قوية في شقة حدائق القبة وصارت بؤرة ومركز إشعاع روحي، وانضم إليهم كوكبة من ألمع الخدام الراغبين في تكريس حياتهم لخدمة الكنيسة^(٢) بأن يعيشوا متبتلين في بيت واحد وحياة مشتركة، يُصَلُّون معاً ويدرسون الآباء وينشرون كتابات آباء الكنيسة، ولا يخرجون للخدمة إلا بعد أن يمتلئوا من الروح. وكان تركيز الأب متى على أمرين:

١- العلاقة الشخصية بالرب يسوع.

٢- توقيح هذه الحياة على الروحانية الآبائية الأرثوذكسية القائمة على شركة الحياة والمحبة.

(١) أبونا متى المسكين، السيرة التفصيلية ص ١٤٩

(٢) كمال حبيب (الأنبا بيمين)، د. رؤوف جرجس (الراهب يوحنا المقاري)، رفعت قديس (الراهب فليمون المقاري)، نظمي بانوب (الراهب كرنيليوس المقاري)، وغيرهم كثيرون.

وأقام معهم الأب متى المسكين فترة في بيت التكريس في حدائق القبة ليساعدهم في تحقيق هذه الأهداف في حياتهم المشتركة. وكان في كل مساء يُلقى كلمة روحية انجذب لسماعها نُخبة الشباب والخدام في ذلك الزمان.

ولمّا اتسعت الخدمة وضاق المكان، دَبَّرَ اللهُ لهم الانتقال إلى مكانٍ مَتَّسِعٍ في حلوان، والذي عُرِفَ باسم "بيت التكريس بحلوان"، والذي صار مركز إشعاع جذب إليه عشرات الخدام يُكْرَسُونَ أنفسهم للحياة الروحية التأملية، ثم ينطلقون للكراسة وسط كنائس القاهرة. وكان الدكتور نصحي يقول: إن العلاقة بينهم وبين رهبان دير الأنبا صموئيل (تلاميذ الأب متى) قوية، فالرهبان يصلُّون من أجلهم، وهم أيضًا يصلُّون من أجل الرهبان ويرسلون لهم احتياجاتهم المادية. وكان الأب متى حين يعود لديره يُرسل لأعضاء بيت التكريس رسائل للتوجيه والإرشاد الروحي^(٣).

كان لبيت التكريس تحت إشراف الدكتور نصحي عبد الشهيد دورٌ كبير في نشر كتب الأب متى المسكين التي صدرت في ذلك الوقت، مثل كتب: العنصرة، الكنيسة الخالدة، الباراقليط، الإيمان بالمسيح ... إلخ. كذلك له الفضل في توفير احتياجات الرهبان المعيشية لمدة ٩ سنوات حين انتقلوا لبرية وادي الريان.

لم تكن دعوة دكتور نصحي سهلة، فقد تعرَّض لمقاومات كثيرة ومصاعب من الداخل ومن الخارج، فلم يكن عنده مصدر تمويل يصرف على الخدمات الكثيرة التي كان يقوم بها. كما أن غالبية الذين بدأوا معه رحلة التكريس تركوه وذهبوا بعضهم للدير وبعضهم لتكوين أسرة بسر الزيجة، ثم إن الكنيسة في البداية لم تستوعب رسالته وهذه الحركة الجديدة، ولكنه بقي أمينًا لرسالته، ولم يحد عنها طيلة حياته.

في الحقيقة، إننا إذا قلنا إن القديس حبيب جرجس هو رائد النهضة الروحية في مصر في بداية القرن العشرين، واستلم منه الراية الدكتور وهيب عطاالله؛ فإن الدكتور نصحي عبد الشهيد منذ منتصف القرن الماضي حتى عشرينيات القرن الحالي، هو وريثهما الشرعي الذي أضرم شعلة المعرفة الروحية الآبائية بالأكاديمية العلمية الجبارة التي أنشأها، والكتب الآبائية التي ترجمها، والأهم هو أنه أعاد للأقباط تاريخهم المفقود، والتواصل الفكري والروحي مع آباؤهم العظام.

(٣) رسائل القمص متى المسكين ص ٢٥١-٣٢٢

وأخيرًا اعترفت الكنيسة رسميًا بدوره في نهضة المعرفة الآبائية إذ سلّمه قداسة البابا تواضروس الثاني باسم المجمع المقدّس درع الشرف "تقديرًا لدوره الكبير في إثراء التعليم بالكنيسة القبطية ومجهوداته العظيمة في نشر تعاليم وكتابات آباء الكنيسة الأولى وإتاحتها للشعب القبطي". وكان ذلك في سياق عقد سيمينار المعاهد اللاهوتية الكنسية بالأناضول في ٢٦ يونيو ٢٠١٣.

وبالرغم من الشهرة التي حقّقها مركز دراسات الآباء الذي أنشأه الدكتور نصحي بأبنائه الذين صاروا مثله منارات في الكنيسة، إلا أنه بقي كما هو الإنسان المتواضع الوديع المُخلي لذاته، والذي كل ما يشغله هو مجد المسيح. وها هو الآن يُردّد ما قاله القديس بولس سابقًا: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجَهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ» (٢ تي ٤: ٧، ٨).

*** بقية مقال: المسيحية هي روح الاستشهاد (المنشور صفحة ١٤) *****

سأضع كل مالي في خدمة عروسك، سأصلي كثيرًا فيها ومن أجلها، حبًا فيك.
سأتوب وأبدأ من جديد، محبة فيك وفي الحياة المقدّسة معك.
سأزهد في العالم وأدوسه بقدمي، لأجل حبك.
سأصوم مُعبّرًا عن زهدي في العالم، حبًا فيك.
إلهي: إني أتكلم كثيرًا وأنت تعلم عجزتي، فأنا عاجز في محبتي لك، عاجز في شكري لك. ماذا أقدم لك من أجل كثرة حسناتك؟!
أريد أن أقدم ذاتي حبًا فيك، أريد أن أحمل سمات الرب يسوع في حياتي.
هل لي أن أقول مع القديس إغناطيوس: "إني سوف لا أشبع من حبك، إلا إذا سُفِكَ دمي من أجل خاطرك".

أيتها العذراء، يا مَنْ جاز في قلبها السيف، صلّي عنا.
أيها الشهداء ولباس الصليب والمجاهدون صلّوا عنا.
ربي يسوع اقبل طلباتهم وأعنا آمين.

القس بيشوي كامل

مجلة مرقس سبتمبر ١٩٧١